

تفسير البغوي

قوله D : 72 - { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال } الآية أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها ﷻ على عباده عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم وهذا قول ابن عباس .

وقال ابن مسعود : الأمانة : أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع .

وقال مجاهد : الأمانة : الفرائض وحدود الدين .

وقال أبو العالية : ما أمروا به ونهوا عنه .

وقال زيد بن أسلم : هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع .

وقال عبد ﷻ بن عمرو بن العاص : أول ما خلق ﷻ من الإنسان فرجه وقال : هذه أمانة استودعتكها فالفرج أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له .

وقال بعضهم : هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء قليل ولا كثير وهي رواية الصحاك عن ابن عباس فعرض ﷻ هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهم أتحملن هذه الأمانة بما فيها ؟ قلن : وما فيها ؟ قال : إن أحسنن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن فقلن : لا يا رب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين ﷻ أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة وكان العرض عليهن تخييرا لا إلزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة ﷻ D مطيعة ساجدة له كما قال جل ذكره للسموات والأرض : { ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين } (فصلت - 11) وقال للحجارة : { وإن منها لما يهبط من خشية ﷻ } (البقرة - 74) وقال تعالى : { ألم تر أن ﷻ يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب } (الحج - 18) الآية .

وقال بعض أهل العلم : ركب ﷻ D فيهن العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهن حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن .

وقال بعضهم : المراد من العرض على السموات والأرض هو العرض على أهل السموات والأرض عرضها على من فيها من الملائكة .

وقيل : على أهلها كلها دون أعيانها كقوله تعالى : { واسأل القرية } (يوسف - 82) أي

: أهل القرية .

والأول أصح وهو قول العلماء .

{ فأبين أن يحملنها وأشفقن منها } أي : خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فليحقهن العقاب { وحملها الإنسان } يعني : آدم عليه السلام فقال اﷻ لآدم : إني عرضت الأمانة السموات والأرض والجبال فلم تطلقها فهل أنت آخذها بما فيها ؟ قال : يا رب وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فتحملها آدم وقال : بين أذني وعاتقي قال اﷻ تعالى : أما إذا تحملت فسأعينك أجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابا وأجعل للسانك لحين غلقا فإذا غشيت فأغلق وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك .

قال مجاهد : فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصر .

وحكى النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال : مثلت الأمانة كصخرة ملقاة ودعيت السموات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها وقالوا : لا نطبق حملها وجاء آدم من غير أن يدعى وحرك الصخرة وقال : لو أمرت بحملها لحملتها فقلن له : احملها فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها وقال واﷻ لو أردت أن أزداد لزدت فقلن له : احملها فحملها إلى حقوه ثم وضعها وقال : واﷻ لو أردت أن أزداد لزدت فقلن له : احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فأراد أن يضعها قال اﷻ : مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة .

{ إنه كان ظلوما جهولا } قال ابن عباس : ظلوما لنفسه جهولا بأمر اﷻ وما احتمل من الأمانة .

وقال الكلبي : ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة .

وقال مقاتل : ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل .

وذكر الزجاج : وغيره من أهل المعاني في قوله وحملها الإنسان قولان فقالوا : إن اﷻ ائتمن آدم وأولاده على شيء وائتمن السموات والأرض والجبال على شيء فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا في الطاعة والقيام بالفرائض والأمانة في حق السموات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقهن له وقيل : قوله : { فأبين أن يحملنها } أي : أدين الأمانة يقال : فلان لم يتحمل الأمانة أي : لم يخن فيها وحملها الإنسان أي : خان فيها يقال : فلان حمل الأمانة أي : أثم فيها بالخيانة قال اﷻ تعالى : { وليحملن أثقالهم } (العنكبوت - 13) إنه كان ظلوما جهولا .

حكى عن الحسن على هذا التأويل : إنه قال وحملها الإنسان يعني الكافر والمنافق حملا الأمانة أي : خانا .

